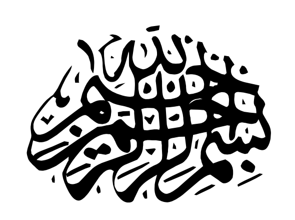
تقريراتُ فضيلةِ الشَّيخ

عبدالله بن عمرْ بن مرْعِي بن بريكْ العدنِي

-حفظه الله تعالى-

في مسألةِ

العذر بالجهل



قال فضيلة الشيخ *عبدالله بن عمر بن مرعِي بن بريك العدني* **–حفظه اللّه تعالى- في تعليقِه على رسالتِه [خمسون حديثاً في العقيدة (د18-د19 / الحديث 18)] :**

١٨- قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ في مسنده (٤/ ٢٤) برقم (١٦٣٠٧): حدثنا علي بن عبدالله حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي عن قتادة عن الأحنف بن قيس عن الأسود بن سريع رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال (أربعة يوم القيامة: رجل أصم لايسمع شيئًا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئًا وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر وأما الهرم فيقول: ربي لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئًا وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنّه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار قال: فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا) قال: حدثنا علي حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة مثل هذا غير أنه قال في آخرة

: (فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها يسحب إليها). وصححه الشيخان: الألباني في الصحيحة (١٤٣٤) والوادعي في الصحيح المسند (١/ ٧٤).

هذا الحديث من الأحاديث العظيمة التي فيها أصلٌ لمسألة عظيمة من مسائِل الإسْلام ؛ وهي مسألة « العذر بالجهل » .

فإنَّ هذه المسألة من المسائِل العِظام والمسائِل الخطيرة في هذا الدِّين التي النَّاسُ فيها على طرَفيْن ووسَطْ .

- **فمن النَّاس من لا يرى العذر بالجهْل أبداً ، وهذا خطأ ؛ فإنَّ الإسْلام فيهِ هذا الأصْل وبأوجُهٍ كثيرَة .**
- **ومنهم – كذلك - من توسَّعَ في هذا الباب ، فجعلَ ذلك مفْتوحاً على غير الوجهِ الشَّرْعِي الذي فُتِحَ في هذا الدِّين ، فصارَ بذلك يُعْذِرْ من لم يُعْذِرهُ اللّه ، ولا رسولهُ ﷺ .**
- **والوسَطُ في ذلك ؛ أنَّ « العذر بالجهل » أو « العذر » -مطْلقاً- له أصْلٌ في دين الإسْلام .**

ومن الأحاديث التي فيها هذا الأصْل ؛ هذا الحديث ؛ وأصْلُ ذلك في كتابِ اللّه – جلَّ وعلا - في آيات كثيرَة .

ومنها ؛ قولُ اللّه – جلَّ وعلا - ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء: 15] **، ففي هذا دليل على أنَّ اللّه – جلَّ وعلا - لا يُعَذِّبْ حتَّى يبْعثَ**

رسولا .

وكذلك الآيات الأخرى الكثيرَة التي هي في هذا المعْنَى .

وهذا الحديث فيه بيان أنَّ أربعة أصْناف من النَّاسْ يُعْذَرُون يوْم القيامة ؛فلا يُعذّبُون ،ولكنَّهم لا يُتركون ،بل يُمتحنون !

من هؤلاء الأربعة « **الأصَمّ** » ؛والمراد بهِ :الذي لا يَعْقِلْ من خِطابِ الشَّرْع شيئاً :

- إمَّا لأجلِ صَمَمْ ؛وهو عدم السَّمْع .
- وإمَّا –كذلك- لاجتِماع صِفَةٍ أخرى مع هذا الصَّمَمْ ؛إمَّا الصَّمَمْ

والعَمَى ،كأن يكون أصَمّ وأعمى ،فإنَّهُ من بابِ أولى أن يُعذَرْ في هذا الدِّين ،لأنَّهُ لا يسْتَطِيعْ أن يَفْهَمْ من خطابِ الشَّرْع شيئاً .

وهذا لا يَعْنِي أنَّ هذا الحُكم يَسْقُطْ إذا صارَ هذا الإنسان يَفْهَمْ ! كحالِ بعض من هو أصَمّ في هذا الزَّمان ولكنَّهُ صارَ يَفْهَمْ خِطاب الشَّرْع ؛بالإشارَة ،وبتعلُّم اللُّغة الخاصَّة التي بها يَصِلْ إلى معرفة أحكام الدِّين ،وما أوْجَبَ الله –عز وجلّ- فيه ،فإنَّهُ بهذا يُعلَم أنَّهُ لا يَسقُط عنه التَّكلِيف بدليل أنَّ هذا الحديث ذكرَ الإعذار له وهو أنَّهُ جاءَ الإسْلام وهو لا يسْمَعْ شيئاً ؛ومعناه أنَّهُ لم يَصِلْهُ شيء من خِطاب الشَّرْع .

والأصْلُ في هذا الباب :

- أنَّ كلّ من وصلَهُ خطاب الشَّرْع فإنَّهُ ممَّن يُؤْخذ .
- ومن لم يَصِلْهُم خطاب الشَّرْع فإنَّه ممَّن يُعذر .

وهذا الرَّجُلْ إذا صارَ ممَّن لم يَصِلْهُم خطاب الشَّرْع فإنَّهُ من أهل الإعذار الذين يُعذرون في دين الإسْلام .

وقد ذُكِرَ الأصَمّ ليَكون معهُ من بابِ أولى من هو أعلى من الأصَمّ ؛كالأصَمّ والأعمى ،وما كان بمعناه ممَّن لا يَعْقِلُ الشَّرْع لعاهَة في جسدِه لا في عقْلِه ،فكلّ من في جسَدِهِ عاهَة (يعني :عيْب) فاسْتطاعَ بهذا العيْب لا يَعرفْ أحكام الإسْلام ،أو لا يَسْتَطِيعْ أن يَصِلْ إلى أحكام الإسْلام فإنَّهُ يُعذَرْ في دِين الإسْلام .

والصِّنْف الثَّانِي من الذين يُعذرون في دين الإسْلام –كذلك- صاحب العاهَة والعيْب في عَقْلِه ؛وهو « الأحمقْ » ،ويُلْحَقْ بالأحمقْ « المجنون » من باب أولى .

- فـ« الأحمقْ » هو الذي عندهُ بعض العقْل ،لكنَّهُ لا يَفْقَهْ به

،يسْتطيعْ أن يُمَيِّزْ بيْن الحار والبارد ،وبيْن النَّافِعْ والضَّارّ ،بالجُملة لا بالتَّفْصِيلْ ،لكنَّهُ ليسَ عندهُ العَقْل الرَّاجِحْ الكامِلْ الذي بهِ يَفْقَهْ الأمر والنَّهي فيَعْمَلْ أو يتعلَّمْ أحكام الدِّين ،فمثْلُ هذا عندهُ مانِعْ آخر من فَهْمِ خِطابِ الشَّرْع ،فهو من أصْنافِ المعذورين الأربعة – كذلك- .

- ويلْحقْ به من كان أولى منه كـ« المجنون » ،وكذلك « المعتوه » .

فـ« الأحمق » درجة أولى لـ« الجنون » -كما يُقال- ،ثُمَّ يَلْحقْ بهِ من هو أولى منه كـ« المعْتُوه » و« المجْنون » .

والصِّنف الثَّالِثْ من أصناف المعذورينْ –كذلك- « الهرمْ » الذي من هرَمِهِ لا يَسْتَطِيعْ فهم خِطابْ الشَّرْع الذي ؛سواء من بُعِثَ النبيّ ﷺ ،وهو كذلك ! أو –كذلك- من دخل الإسْلام إلى بلَدِهِ وهو كذلك .

فإذا لو كان –مثلاً- رجلٌ هَرِمْ في بلاد كُفْر ،لا يَعرفُون الإسْلام ولا يَسْمَعُون بالإسْلام ،فهو عندهُ العذر الرَّابعْ ؛وهو أنَّهُ ممَّن هو بمعنى « أهل الفَتْرَة » الذين لمْ يَبْلُغُهم الإسْلام ،ثمَّ دخلَ الإسْلام إلى بلَدِهِ وهو حيّ ،ولكنَّهُ دخله هذا الدِّين وهو لا يَعْقِلْ لأنَّهُ « هرمْ » صارَ مُخَرِّفْ ،حكمهُ كحكم « المجنون » ،فهذا –كذلك- عندهُ مانِعْ من أعذار في دين الإسلام ،فيكون –كذلك- من المعذورين .

والصِّنف الرَّابِعْ من أصْناف المعذورين في هذا الدِّين –كذلك- هذا النَّوع المذكور ؛وهو صاحب « الفَتْرَة » ،والمراد بـ« صاحب الفَتْرَة » أي الذي لم تبْلُغْهُ شريعَة ،وليسَ معناه أنَّهُ جاءَ على أهل الأرْض زمان ليسَ فيهم رسالة ،لا ! بل أهلُ الأرْض الحُجَّة عليْهم قائِمة ،ولكن بعض أفرادْ أهل الأرْض لم تبْلُغهُم حُجَّة اللّه من رسالَة الرُّسُلْ .

وإلاَّ فأبوَيْ النبيّ ﷺ من « أهل الفترَة » ،لم يُدركهم النبيّ ﷺ بالرِّسالَة ،ومع ذلك هما في النَّار ! سأل الرَّجُلْ النبيّ ﷺ عن أبيه فقال : « أبي وأبُوكَ في النَّار » .

وهكذا ،قال : « اسْتأذنتُ ربِّي » كما في [صحيح مسلم] « أن أَسْتَغْفِرَ لأمِّي فلم يأذَنْ لي واسْتأذنتُهُ أن أزورَ قبْرَها فأذِنَ لِي » .

فأبَوَيْ النبيّ ﷺ في النّار مع أنَّهما من « أهل الفَترَة » ،لكن ليسَ كلّ « أهل الفَترَة » (أي :الذين كانوا قبلَ مبْعَثِ النبيّ –عليه الصَّلاة والسَّلام-) يُعذرون ،وإنَّما يُعذرْ منهم من لم تبْلُغْهُ رِّسَالَة .

وأمَّا من بلَغَتْهُ رسالة كرسالة إبراهِيم –عليه الصَّلاة والسَّلام- ،أو رسالة عيسى –عليه الصَّلاة والسَّلام- ،أو موسى –عليه الصَّلاة والسَّلام- ،الرِّسالة الحقّ والدِّين الحقّ فإنَّهُ لا يُعذر حتَّى يُؤْمن به ،لا يُعذرْ إلاَّ أن يكون من الموحِّدين على أقلّ التَّقْدِير .

وعلى هذا فيُفْهَمْ معنى « أهل الفَتْرَة » .

ويُلْحَقْ بهؤلاء كلُّ من وُجِدَ في الأرْض ولم يبْلُغْهُ دين الإسْلام ،ولو كان في هذا الزَّمان ؛ فإذا وُجِدَ في هذا الزَّمان إنسان في مشارقِ الأرْض ومغاربها ،في أوْسَاطِ الغابَات ،أو في –كذلك- بطون الجبال ،أو –كذلك- في أطرافِ الصَّحاري لم يبْلُغْهُ دينُ الإسْلام فإنَّهُ يُعذر .

ولكن معنى « يُعذر » ليسَ أن يُترَكْ ،وإنَّما معناه أن يُمتحَنْ كما في هذا الحديث ؛

فإنَّ هذا الحديث الذي جاءَ من حديث الأسْوَدْ بن سريع ،ومن حديث أبي هريرَة –رضي اللّه عنه- فيهِ أنَّ هؤلاء الأرْبَعَة يُمتحنون يوم القيامة ،ومن الامتِحان الذي يُمتحَنُون به أن يُؤْمرُوا بدخول النَّار ؛فمن دخلها كانت عليْهِ برْداً وسلاماً ،ومن لم يَدخُلها فإنَّهُ يُسْحبْ إليْها ،وأنَّهم قبل هذا يُبَيَّنْ لهم أنَّ هذا الذي يُؤْمرون به امتِحان ،حتَّى لا يَعْتَذِرْ أحد بأنَّهُ قد هالَهُ هَوْل النَّار فامتنَعَ من ذلك .

بُيِّنَ له أنَّ هذا امتِحان ،فمن أطاعَ فإنَّهُ يَدْخُلْ إلى الجنَّة ،ومن عصى فإنَّهُ يُدْخَلْ إلى النَّار ،فيُؤْمرون بدخولِ النَّار ،فمن عَلِمَ اللّه –عز وجلّ- منهُ أنَّهُ من أهلِ النَّار يَفْشَلْ في هذا الامتِحان من أهل هذه الصِّفات الأربَعَ ،ومن علِمَ أنَّهُ من أهل الجنَّة فإنَّهُ يَنْجَحْ في هذا الامتِحان كما في هذا الحديث الذي سَمِعْنا .

وفي هذا –كذلك- إشارَة إلى أنَّ ليسَ كلّ من بلغَهُ دين الإسْلام ،أو نقول « أحكام الدِّين » فإنَّهُ يُؤاخذ بها ،لا ! وإنَّما يُؤاخذ بها من فَهِمها وفَقِهَها ،ومن لم يَفْقَهْها ويَفْهَمْها فإنَّهُ يُعذر بها .

وهنا تأتِي مسألة يذكرها بعض أهل العلم في مسألة « العذر بالجهل » :هل المقْصُود بلوغ الحُجَّة أو فهم الحُجَّة ؟

والجواب على هذا :أنَّ مسائِل الشَّرْع تنقَسِمْ إلى قِسْمَيْن :

1- قسْمٌ منها ما يكون بلوغ الحُجَّة كافِي في إقامة الحجَّة :وهي المسائِل المعلومة من الدِّين بالضَّرُورَة « المسائِل الواضحات » ،فمن بلَغَهُ القرآن فإنَّهُ قد قامتْ عليْه الحجَّة في مثل هذه المسائِل .

2- وصِنْف من المسائِل الشَّرْعِيَّة لا يَكْفِي وصول الدَّلِيلْ الشَّرْعِي إلى صاحبه ،بل لا بدّ من فَهْم هذا الدَّلِيلْ ،فمن بلَغَتْهُ الحُجَّة ولم يَفْقَهْها فإنَّهُ يُعذر .

وبهذا نعذُرْ الكثيرْ ممَّن امتنعَ عن بعض الأحكام الشَّرْعِيَّة لوُجود المانِعْ وهو عدم فَهْمِهِ لهذه الحُجَّة .

ولكن ليسَ هذا في جميع المسائِل !

ولعلَّهُ قد مرَّ معنا في دروسٍ ماضِيَّة زيادة تفْصِيل لهذا المقام ،لكن هنا يَكْفِي هذا الاخْتصار ،فنقول :أنَّ الأحكام الشَّرْعِيَّة تَنْقَسِمْ إلى قِسْمين :

- منها ما يكون بلوغُ الحُجَّة كافِي في إقامَة الحُجَّة .
- ومنها ما لا يكون بلوغُ الحُجَّة كافِي في إقامة الحُجَّة ،بل لا

بدّ من فقْه وفَهْم هذه الحُجَّة .

هذا خلاصَة ما يُذْكَرْ في هذا الحديث ،وهو حديثٌ عظيم يَسْتَحِقّ أكثَرْ من هذا بكَثِيرْ ،لكن المقام لا يَتَّسِعْ ،فنكتَفِي بهذا .

ومن المسائِل المهمَّة :من كان في بلدٍ أعْجِمي ،وهو لا يَعْرِفْ لَفْظُه ،هل هذا معْذور أو غير معذور ؟

لو فَهِمَ معنى القرآن فقد قامتْ عليْهِ الحُجَّة بما يتعلَّقْ بأصْلِ الدِّين وما هو معْلُوم من الدِّين بالضَّرُورَة ،وأمَّا المسائِل الخَفِيَّة فإنَّها تحتاج إلى فهْم دقيقْ .

ومن يجيب عمَّا يُدَنْدِنْ بهِ بعض التَّكفِيريين الذين لا يرَوْنَ « العذر بالجهل » في بابِ العقيدة :فيَزْعُمون أنَّ كلّ من بلَغَهُ القرآن فقد قامتْ عليْهِ الحُجَّة فلا يُعذَرْ ،هل هذا الكلام صحيح ؟ وما هو الدَّلِيلْ ؟

حديث أبي واقِدْ اللَّيْثِي :فإنَّ النبيّ ﷺ عذرَ هؤلاء في عقيدَة ،فدلَّ أنَّ مسائِل العقيدة يُفرَّقْ فيها :

- هناك مسائِلْ خَفِيَّة يُعذر فيها بالجهْل .
- وهناك مسائِل لا يُعذر فيها بالجهْل :بل كلّ من بلَغَهُ القرآن قد

قامتْ عليْه الحجَّة .

وعلى هذا يُحمَلْ ما نُقِلَ عن شيخ الإسْلامِ محمَّد بن عبدالوهَّاب – رحمه اللّه تعالى- ،ويزول الإشكال في كثيرِ من المسائِل .

وهكذا –كذلك- من هذه المسائِل ؛أنَّ بعض من يبْلُغْهُ أمرَ هذا الدِّين ؛أمرُ العقيدة الصَّحيحة ،ربَّما يُصِرْ في بعض دقائِقْ المسائِل ،**فهل يُعذر مطلقاً أو لا يُعْذر ؟** وماذا يكون حال هؤلاء كحال كثير من العامَّة الذين يُصِرُّون على بعض المسائِل التي هي ليسَتْ هي على طريقَة أهل التَّوْحِيدْ ،فما يكون الجواب في حقّ هؤلاء ؟

أصْلُ التَّوْحِيد لا يُعذَرْ ،ولو قال :« أنا عامِي » ! لا يُعذر في أصْل التَّوْحيدْ ،أمَّا تفاصِيلْ مسائِل العقيدة فإنَّهُ يُعذر إذا عُلِمَ أنَّهُ لم يَفْهَمْها .

ومرَّ معنا –كذلك- أنَّ من النَّاس من يُعرِضْ ،وأنَّ إعْراضُهُ وعدمُ إرادتِه للفَهْم يُعَدُّ كُفراً ؛مثالُه :رجل مُفَرِّطْ ،ومُعرِضْ عن العلْم ،وهو يَزْعُمْ أنَّهُ لم يَفْهَمْ ،فمثلُ هذا إذا أعرَضَ عن العِلْم في أصْلِ الدِّين فإنَّهُ يَكْفُرْ .

ومرَّ معنا –كذلك- من المسائِل ؛أنَّهُ قد يوجد من اليهود والنَّصارَى أو بعض الكُفَّارْ من يُعذرْ وهو في الكُفْر ×مثاله :ذكرهُ ابن القيِّمْ –رحمه اللّه- في « طبقات المكلِّفِين » في الطبقَة الثَّانِي عشر ؛أنَّ من هؤلاءِ (أي من اليهود والنَّصارَى) من يكون له حُكم الكافرين ،ولا يكون له ذلك في الآخرة ،بل يُمتحنْ .